رضوان ١٥٥ب/١٩٩٨

إلى البهائيين في العالم

الأحباء الأعزاء،

ببلوغ منتصف مشروع الأربع سنوات، نؤكّد بقلوب منتعشة سامية ملؤها النّشوة والانشراح، بأن الجامعة البهائية في أقطار العالم تفتح آفاقاً جديدة في مرحلةٍ حيويةٍ من مراحل تقدّمها وتطوّرها. فعملية الدخول في دين الله أفواجاً، والتي تُسخِّر لها الجامعة جُلَّ طاقاتها، تسير قُدُماً بكلِّ وضوح.

ثلاثة تطوّرات أسبغت البهجة على توقّعاتنا. أولاها النّتائج الرّاسخة التي أثمرتها المعاهد التدريبيّة أينما عملت. إنها تطوّراتٌ ثلاثة أنارت رؤيتنا لتلك

التوقعات: أولاها النتائج الراسخة التي أثمرتها جهود المعاهد التدريبية حيثما كانت. فعشرات الآلاف من الأفراد قد أنهوا خلال السنتين الماضيتين دورة واحدة على الأقل، فانعكس التأثير عليهم مباشرة في إيمان أكثر قوة، وهوية روحيّة أكبر وعياً، والتزام بخدمة الأمر المبارك أكثر تأكيداً. وثانيها مرتبط بالتحسّن الملموس في الظروف المؤثّرة على تشكيل المحافل الروحانية المحلية أو إعادة تشكيلها. فالقرار بضرورة تشكيل تلك المؤسسات في اليوم الأول من الرضوان فقط، والتزام جامعاتها بهذا المبدأ بمبادرات منها قد أخذ طابع التنفيذ عام ١٩٩٧. وبينما حدث هبوط فوري في عدد المحافل الروحانية المحلية في العالم عموماً، كما كان متوقعاً، إلا أنه لم يكن كبيراً، بل شهد في الحقيقة ارتفاعاً في أماكن أخرى، مما يشير إلى أن عملية نضج تلك المؤسسات الإلهية تسير في مجراها. وثالثها تلك الثقة الجديدة في التبليغ لدى الأحباء والتي بدأت تنفث فيهم روحاً وحياة أخذت تؤتي أكلها بنتائج مؤثرة في مناطق عدة. إن إمكانات توفير سيل من المؤمنين الجدد دائم التدفق والتوسع كانت على الدوام عظيمة، ويمكننا القول بكل تأكيد بأن تلك الإمكانات يجري تطويرها الآن جلال سنوات المشروع وفق منهجٍ مدروسٍ لم يسبق له مثيل.

بالإضافة إلى إمارات التطور هذه فإننا راضون عن السرعة المدهشة التي يتم بها العمل في البناء على جبل الكرمل تنفيذا لجدول العام الماضي. ونتطلع في شهر أيار/مايو القادم إلى تشكيل ثلاثة محافل روحانية مركزية في "صباح" و"سراواك" و"سلوڤاكيا"، وإعادة تشكيل المحفل الروحاني المركزي في ليبيريا، ليرتفع عدد أعمدة بيت العدل الأعظم إلى ١٧٩. ونحن نتأمل في تلك الأفضال والتأييدات الإلهية التي تنهمر على جامعتنا لا يسعنا إلا أن نقرّ، وبكل تقدير، بالخدمات الجليلة التي يقوم بها حضرات أيادي أمر الله، وأعضاء

دار التبليغ العالمية، والمستشارون ومعاونوهم في كل القارات بكل الولاء والوفاء والإخلاص. وكذلك الأمر، فإن تنامي قوة المحافل الروحانية المركزية يُغذّي إيماننا بقرب الانتصارات المدويّة.

أما هذه الصورة الحيّة لواقع جامعتنا نجد عالماً تعصف به الفوضى والاضطراب منقسماً على نفسه. ومع مشاعر الإحباط التي تنتاب الروح الإنسانية فإنّ من الواضح رؤيته، من مستوى محدَّد من الوعي، أن هناك توجّهاً متزايداً بين شعوب العالم نحو الاتحاد والسلام. وسيتنامى هذا الشعور كلما أُقصيت جانباً تلك العوائق المادية بين الشعوب بفضل التطورات المذهلة في العلوم والتكنولوجيا. إلا أن هناك مزيجاً من البلايا المتلاحقة التي ستهز العالم، والتطوّرات التي ستعيد تشكيله ستترك الإنسانية في حيرةٍ وذهولٍ معاً. إنها عواصفٌ ضاغطةٌ تلطُم نسيج المجتمع الإنساني لا يفهمها ولا يعيها سوى القلّة القليلة من سكان الكوكب ممّن أقرّوا بِقَدَرِ الله لهذا العصر.

ينتاب إخواننا في الإنسانية، وبلا وعي منهم وفي آن واحد، أحاسيس متضاربة يولدها تلازم "**عملية الصعود ثم النزول، الاتحاد والانحلال، ثم النظام والفوضى**". إنها عمليات متلاحقة يصفها شوقي أفندي بأنّها مظاهر "الخطة الإلهية الكبرى" و"الخطة الإلهية الصغرى"، وبهما ينفّذ الله ما قدّره لبني البشر. فالخطة الكبرى تقترن بمصائب ومحن وويلات عشوائية عفوية في ظاهرها، إلا أنها في الحقيقة تقود الإنسانية بلا هوادة نحو النضج والوحدة. وفي معظم مراحلها يكون روّادها أولئك الذين يجهلون خطّ سيرها وحتى الذين يقاومون أهدافها. وكما أشار شوقي أفندي فإن الخطة الإلهية الكبرى تُسخِّر لأغراضها "**كلاً من الشريف والوضيع كأحجار الشطرنج في لعبةٍ لتشكيل العالم وتنفيذ وعده في تأسيس ملكوت الله على الأرض**". فتسارع الأحداث التي تولّدها تلك الخطة يدفع عجلة التطورات إلى الأمام، فنراها نحن البهائيون بشائر انبلاج فجر الصلح الأصغر رغم أنها مجبولة بالآلام المبدئية والأوجاع.

وعلى النقيض من الخطة الإلهية الكبرى التي تعمل بالخفاء، فإن الخطة الإلهية الصغرى واضحة المعالم وتعمل في عمليات منظمة ومعروفة جيداً هدفها الصلح الأعظم وعلى عاتقنا يقع تنفيذها. وما مشروع الأربع سنوات الذي نقف في منصفه الآن إلا مرحلة من مراحل تلك الخطة الإلهية الصغرى، وفي سبيل تحقيق أهدافها علينا جميعاً تكريس جلّ اهتمامنا وقدراتنا.

يحدث أحيانا أن عمليات الخطة الإلهية الكبرى تُعطِّل عمليات الخطة الصغرى، إلا أن الأحباء يجب ألا يُفزعهم شيء، لأنهم يدركون مصدرها، وبكلمات حضرة ولي أمر الله: "**يُقرّون بضرورتها، ويرقبون في ثقة**

عملياتها الخفيّة، ويبتهلون في حرارة أن تخفَّ وطأتها، ويجاهدون في ذكاء أن يقللوا من شدتها وحدّتها، ويلمحون ببصيرة صافية انتهاء الآمال والمخاوف التي لابدّ لها من أن تولّدها بالضرورة".

إن تقييماً بسيطاً للمشهد العالمي في السنوات الحالية لابد أن يقود إلى ملاحظات لها مغزاها لدى المراقب البهائي. فمن جهة يمكن ملاحظة التوجّه الواضح نحو الصلح الأصغر في خضمّ الاضطرابات بتصدّي هيئة الأمم المتحدة بشكل متزايد لمشاكل عالمية مزمنة وملحّة، بمساندة حكومات ذات نفوذ. وهناك علامة أخرى تتمثل في الاعتراف المفاجئ والمثير لقادة العالم قبل أشهر قلّة بما يعنيه حقاً ارتباط كافة الأمم في ميدان التجارة والمال – وهو ما توقّعه حضرة شوقي أفندي شرطاً أساسياً لعالم متّحد عضوياً. إلا أن هناك تطوّراً أعظم في نظر الجامعة البهائية وهو توجّه عدد هائل من الناس لبحث عن الحقيقة الروحية، إذ كُرِّست في هذا السبيل دراسات عدّة صدرت حديثاً. فالأفكار والنظريات التي سادت في معظم هذا القرن قد استُهلكت. ومع أفول بريقها في مستهلّ نهاية القرن الحالي يتعاظم التعطّش إلى المضمون والمغزى والتَّوق إلى الروح.

هذا السغب[1] الروحي يميّزه ذلك الشعور بعدم الراحة والاستقرار، وازدياد عدم الرضا بالوضع الخُلُقي للمجتمع، وواضح أيضاً في تفاقم الأصولية بين صفوف المذاهب الدينية المختلفة، وفي مضاعفة أعداد الحركات الجديدة التي تصطبغ بالدّين أو تريد أن تحل محلّه. إنها مشاهدات تمكننا من تقدير التّفاعل والتّرابط بين العمليّتين الإلهيّتين اللتين تعملان على هذا الكوكب حق قدرهما. فأبواب الفرص العديدة التي فتحت بالعناية الإلهيّة أمام رسالة حضرة بهاءالله لعرضها أمام الباحثين والمستفسرين، إنما تخلق وضعاً يموج حركةً ونشاطاً أمام المبلّغ البهائيّ، وهو أمر مشجّع للغاية بالمُهمّة المطلوبة.

ويمكن تحقيق كافّة آمالنا وأهدافنا وإمكانات التقدّم إلى الأمام بتركيز جهودنا على الهدف الرئيس من الخطة الإلهية في مرحلتها الرّاهنة – تحقيق تقدّم ملحوظ في عمليّة الدّخول في دين الله أفواجاَ. إنه تحدٌّ يمكن مواجهته بالجهد والمثابرة بكلّ والأناة. إن الدخول في دين الله أفواجاً أمرٌ هو في متناول يدٍ جامعاتنا. فالإيمان المُتّلجْلِجُ في الصدور، والدعاء، والروح التوّاقة، والتأييد الإلهي متطلبات من بين الشروط الأساسية للتقدم في أي مشروع بهائي. ومن الأهمية بمكان أيضاً، لتحقيق الدخول في دين الله أفواجاً، إيجاد تحرك واقعي وعمل مدروس منظم. فلا أساليب مختصرة. إن التنظيم المنهجي يضمن تماسك خطوط العمل واتّساقها القائمة على خططٍ أُحكمت دراستها. ويدل عموماً على انتظام التقدم في أوجه الخدمات الأمرية في ميادين التبليغ والإدارة أو في العمل الفردي والجماعي. وبينما هو يطلق العنان للمبادرة الفردية والتلقائية، فإنه يفرض الحاجة إلى أن

---

[1] الجوع

يكون ذا أبعاد واضحة، منظماً فاعلاً ثابتاً متوازناً متناغماً. إن التنظيم المنهجي لهو أسلوب ضروري للقيام بواجباتنا تُغَذّيه حركة عاجلةٌ نحو الخدمة.

ومن أجل ضمان نمو مطّرد للجامعة، فإن واجب المؤسسات البهائية يدعوها إلى تنظيم عملية تنمية الموارد البشرية وصيانتها بحيث تتيح للأحباء – حديثهم وقديمهم – اكتساب المعرفة وتأهيلهم لدعم التوسع المستمر للجامعة ورفع قدراتهم. إن تأسيس المعاهد التدريبية لهذا الهدف أمر حيوي للغاية. فهي مراكز تمكّن أعداداً كبيرةً من الحصول على المهارات وتطويرها من أجل التبليغ وإدارة شؤون الأمر المبارك. ووجودها يعزز الأهمية في معرفة دين الله مصدراً للقوة وإنعاش حياة الجامعة البهائية وأفرادها.

إن الحقائق والمعطيات المشهودة تؤكد أن مشروع الأربع سنوات يسير قُدُماً حيثما يطبّق التنظيم المنهجي بعد استيعابه. وتشير الحقائق نفسها إلى أن المؤسسات الأمرية في مجهوداتها المشتركة – مركزياً وإقليمياً ومحلياً – قد أظهرت واضحاً تمسكها بهذا المفهوم. أما الفرد، الذي بيده نجاح المشروع في النهاية، فإن هذا المفهوم لديه يبدو أقل وضوحاً. ولهذا فإنه لزام علينا التأكيد على أهمية ذلك لأحبائنا الأعزاء في مجهوداتهم إذا ما أرادوا لها النجاح في ميادين التبليغ والخدمات الأخرى.

وعندما يحوّل المشروع إلى خطط وبرامج تضعها المؤسسات المركزية والمحلية، وبالإضافة إلى ما يوضحه من تحديد للاتجاه والأهداف، وتعزيز للجهود، فإنه يمدُّنا بوافر البراعة المطلوبة وابتكار الوسائل المفيدة لمجهود ناجح أمام المبلغين والإداريين. وهذا بالطبع أمر ضروري للجامعة البهائية في أدائها السليم. إلا أنه يفقد أهميته إذا لم يلْقَ من أعضائها التجاوب بالمشاركة الفاعلة. وهذا يعني أن على كل فرد أيضاً أن يقرر ما يجب أن يفعله لخدمة المشروع، ثم متى وكيف وأين. بهذا التصميم يتمكن من تقييم مجهوداته ثم تعديل خطواته إذا لزم الأمر. وإذا ما اعتاد على ذلك منحه هذا النهج معنىً لحياته وحقق غاية وجوده.

إنه فوق التجاوب لنداء المؤسسات، ذلك الواجب المقدس الذي فرضه حضرة بهاءالله على كل فرد. إنه التبليغ الذي وصفه بـ "**أفضل الأعمال**". وسيبقى الشُّغل الشّاغل لكل مؤمنٍ طالما أن هناك نفوساً تواقةً للهداية. وفي القيام بهذا الواجب يكون المؤمن مسؤولاً مباشرةً أمام حضرة بهاءالله. "**فلا ينتظر أي توجيه**"، كما ينصحه حضرة شوقي أفندي بحرارة "**أو يتوقع تشجيعاً خاصاً ممّن تنتخبهم الجامعة، فلا تُثنيه عقبات أهله أو أقرانه، أو يبعده لَوْمُ ناقديه أو أعدائه**". فبيانات الشخصيات الرئيسة للأمر المبارك وحضرة ولي الأمر زاخرةٌ بالنصائح والمواعظ التي تحدد دور الفرد في تقدم مصالح الأمر الكريم. وفي هذا الوقت من حياة

البشرية نجد لزاماً أ نناشد كل فردٍ في جامعاتنا مباشرةً فيتفكّر بالوضع الحرج والمُلِحّ الذي يواجهنا جميعاً كناصرين للجمال الأبهى.

إن قَدَرَنَا، أيها الأخوة والأخوات الأعزاء، أن ننخرط بما فينا من وعي وإدراك في عملية تاريخية ضخمة واسعة لم تشهد أمة مثلها. لقد حققت جامعتنا العالمية، إلى مدى بعيد، نجاحاً فريداً رائعاً في تمثيل سائر أطياف الجنس البشري بفضل تضحيات أرواح لا حصر لها وبذل الأموال طواعيةً من قبل الآلاف من أسلافنا الروحيين. لا يمكن لمجموعة من البشر أن تدّعي أنها أقامت نظاماً يكتنز قدرةً على توحيد أبناء الله تحت ظل نظام عالمي واحد. فهذا الإنجاز لا يضعنا في موقف قوّة لا تضاهى فحسب، بل يضعنا بالخصوص أمام مسؤولية لا مفرّ منها. أليس في عنق كل واحد منّا الآن مسؤولية القيام بواجبه المقدّس تجاه من لم يسمع نداء آخر مظهر من مظاهر أمر الله؟ فالزمن لا يتوقف أو ينتظر. وكل ساعة تمرّ تحمل معها المِحَن الجديدة لبشرية لفَّها الذُّهول والحيرة فهل يمكن أن نجرأ على التواني والتردد؟

سنتان فقط على نهاية مشروع السنوات الأربعة، وحينها ستبعدنا عن نهاية قرنٍ لا ينسى بضعة شهور، وسيترامى أمامنا موعدٌ مزدوج مع القدر. وفي تمجيده للقرن الحالي المتفرّد بطاقاته والقوى التي تنبعث منه، أكّد مولانا المحبوب حضرة عبدالبهاء بأن آثاره سوف تدوم إلى الأبد. وإذ تشدّنا إليها هذه الرؤيا، فإن العقل الواعي للمؤمن بحضرة بهاءالله لابد أن تحرّكه أسئلة مقلقة: ما الدور الذي سيؤديه في هاتين السنتين الزائلتين؟ وما الذي سيتركه من اثر في نهاية هذه الفترة العامرة بالخصوبة من بين الآثار التي تنبّأ بها حضرة المولى العطوف؟ لضمان إجابة ترضي النفس والروح، هناك أمرُ لا يعلوه أمر في الوجود: أن نعمل، وأن نعمل الآن وأن نواصل عملنا باستمرار.

نقف بالنيابة عنّا جميعاً أمام العتبات المقدّسة بقلب متوجّهٍ، ملتمسين العون الإلهي حتى يثبتنا بقوة في كل ما نفعل تحقيقاً لهدف الخطة الإلهية في هذه اللحظة المحتومة من تاريخ البشرية.

بيت العدل الأعظم